الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة ٥

مواقف الطبقات الاجتماعية من الثورة الوطنية الديمقراطية

بعد ان انهى الاستاذ جلال الطالباني الحديث عن الانحراف اليميني ، واستكمل حديثه عما يسمى بالتطور اللاراسمالي ، ودخل في مناقشة الانحراف اليساري البورجوازي الصغير ، يستكمل في هذه الحلقة النقاش المذكور ، ثم يبدأ في بحث المواقف لمختلف طبقات المجتمع من الجبهة الوطنية التقدمية بشكل خاص ومن مختلف المهمات المرحلية والتاريخية بشكل عام .
« الهدف »

ان الاشتراكية لا تبنى بالتمنيات الطيبة والمقاصد النبيلة بل لا بد من ايجاد مستلزماتها عبر الديمقراطية الشعبية . فلا بد من القيام بالتحويلات السياسية الديمقراطية كالقضاء على الاوتوقراطية وحكم الاقطاع والعمالة وتحقيق التحرر الوطني والحرية السياسية القيام بالاصلاح الزراعي وتطهير المجتمع من بقايا القرون الوسطى وكل هذه التحويلات هي منجزات ديمقراطية بورجوازية في جوهرها تقوم بها الديمقراطية الشعبية بشكل احسن واكثر جذرية واحسم واسرع . فمنذ القديم بين لينين حقيقة ان « النضال من اجل الارض والحرية هو نضال ديمقراطي بينما النضال لدك سلطان الراسمال هو نضال اشتراكي » . وبدون الدعوة الى اجراء هذه الاصلاحات الديمقراطية لا يمكن كسب الفلاحين وجمهرة غفيرة من البورجوازية الصغيرة في المدن وهؤلاء يشكلون الاغلبية الساحقة في البلدان المتاخرة وحيث الطبقة العاملة ضعيفة عددا ونوعيا ومتاخرة سياسيا في اغلب الاحيان.

اذ كيف يمكن بدون كسب الفلاحين عن طريق تحقيق مطاليبهم وحلمهم القديم في الحصول على الارض كيف يمكن تشكيل الجيش الاساسي للثورة الوطنية الديمقراطية ؟ وممارسة اسلوب الحرب الشعبية المنطلقة من الريف او تاسيس القواعد الثورية في الريف المتحرر تمهيدا لتحرر المدن المطوقة ؟ او كيف يمكن بدون كسب البورجوازية الصغيرة في المدن تحقيق الجبهة الوطنية ؟ وهذه كلها متطلبات اشعال الثورة وانجاحها . ثم كيف يمكن بدون الحرية السياسية والاصلاح الزراعي وتصنيع البلاد وتحرير النساء من القيود الرجعية وتثقيف الناس القيام بالبناء الاشتراكي ؟

واذا زعم بعضهم ان انجاز هذه المهمات الديمقراطية يعني ارجاء الاشتراكية فاننا نرد عليهم بقول لينين « جوابا على الاعتراضات الفوضوية الزاعمة اننا نرجيء الانقلاب الاشتراكي » بهذا القول الرائع التالي :

« اننا لا نرجئه انما نخطو الخطوة الاولى نحوه بالوسيلة الممكنة الوحيدة وبالطريق القويم الوحيد اي بطريق الجمهورية الديمقراطية » لانه كما يقول لينين بحق « فان من يريد السير الى الاشتراكية بطريق اخر خارج الديمقراطية السياسية يصل حتما الى استنتاجات خرقاء ورجعية سواء بمعناها الاقتصادي أم بمعناها السياسي » .

اذن فان الدعوة الخاطئة الى تخطي مهمات الثورة الديمقراطية والشروع الفوري بالثورة الاشتراكية قبل اوانها وفي عهد الثورة الوطنية الديمقراطية هي دعوة قديمة تتجدد الان وتظهر بشعارات براقة جديدة بذريعة التحولات في الاوضاع الدولية وبذريعة التطوير الخلاق للماركسية .

وقد ظهرت في الصين قبل الحرب العالمية الثانية دعوة الى « الثورة الواحدة » قائلة بوجوب تحقيق الثورتين الديمقراطية الجديدة وعن الطيبين من دعاة « الثورة الواحدة » يقول ماوتسي تونغ في بحثه (حول الديمقراطية الجديدة) نص ما يلي :

« بيد ان ثمة اناسا آخرين لا يحملون نوايا سيئة فيما يبدو ولكن قد ضللتهم « نظرية الثورة الواحدة » والفكرة الذاتية المحضة القائلة ـ « بتحقيق الثورة بضربة واحدة في المجال السياسي والاجتماعي » ـ وهم لا يفهمون ان الثورة تنقسم في سيرها الى مراحل وانه لا يمكننا ان نصل الى المرحلة التالية من الثورة الا بعد انجاز المرحلة الاولى ، فلا يوجد ما يسمى (تحقيق الثورتين بضربة واحدة) . ووجهة النظر هذه لشديدة الضرر ايضا لانها تخلط الخطوات الواجبة اتخاذها في الثورة وتضعف الجهد الموجه نحو تحقيق المهمة الراهنة.

« انه لصحيح ومتفق مع النظرية الماركسية حول تطور الثورة ان نقول عن المرحلتين الثورتين ان اولاهما توفر الشروط اللازمة للثانية . وانه لا بد أن تكونا متتابعتين دون السماح بان تتخللهما مرحلة دكتاتورية البورجوازية .

« اما الادعاء بان الثورة الديمقراطية ليست لها مهمتها المحددة ولا مرحلتها الخاصة وانه من الممكن في الوقت الذي تتحقق فيه مهمة الثورة الديمقراطية ، تحقق مهمة اخرى لا يمكن القيام بها الا في فترة اخرى مثل مهمة الثورة الاشتراكية فذلك يترجم فكرة (تحقيق الثورتين بثورة واحدة) وهي لفكرة طوباوية يرفضها الثوريون الحقيقيون » .

اذن فالديمقراطية الشعبية ضرورية للتمهيد للاشتراكية وذلك لان اجراء الاصلاحات الديمقراطية بصورة اكثر جذرية وتقدمية مما تقوم به البورجوازية وخاصة في ميادين الاصلاح الزراعي والتصنيع وتنظيم التجارة الخارجية ومحاربة الاحتكارية هو من المستلزمات الاساسية للبناء الاشتراكي . والثورة الديمقراطية الجديدة التي تقودها الطبقة العاملة وطليعتها الثورية هي التي تستطيع توعية الفلاحين وزجهم في النضال بتحالف وثيق مع العمال وسائر الكادحين ، مما يعتبر شرطا سياسيا اساسيا للانتقال الى الاشتراكية . ولا يمكن الانتقال الى الاشتراكية ما لم يتحقق الهدفين الاساسيين للثورة الوطنية الديمقراطية وهي :

١ ـ القضاء على الامبريالية التي تعيق التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي .

٢ ـ القضاء على الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية اللتين تعيقان تطور القوى المنتجة وتطور الاقتصاد الوطني ونمو القوى الشرائية والعاملة في المدينة والريف وتمنعان تشييد البنيان الاقتصادي للنظام الاشتراكي .

فالاختلاف مع هذه الفئة الداعية الى تحقيق الثورتين بضربة واحدة ليس مرده الرغبة في اقامة النظام الاشتراكي أم لا . اذ ان اقامة الاشتراكية هي الهدف الستراتيجي للثورة الديمقراطية الجديدة التي ستتحول الى ثورة اشتراكية حالما تنتهي من انجاز مهمتها الديمقراطية ودون التوقف عندها ، كما هي الهدف الستراتيجي الذي تناضل الاحزاب الماركسية اللينينية من اجله ولكن عبر الديمقراطية الشعبية بالنسبة للبلدان المتخلفة وشبه المستعمرة او المستعمرة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وغلطة الشروع الفوري بالدعوة الى الثورة الاشتراكية في البلدان المستعمرة او الشبه المستعمرة ذات المجتمعات شبه الاقطاعية تظهر بجلاء لو ادركنا ان جوهر الثورة الاشتراكية هو دك سلطان الراسمال واسقاط الراسمالية واقامة دكتاتورية البروليتاريا مع ما يرافق ذلك من تاميمات وتحويل الفلاحين الى شغيلة على ارض يملكها المجتمع وبادوات انتاج مؤممة يملكها الشعب . بينما تواجه مثل هذه البلدان مهمات تحرر الوطن والقضاء على الامبريالية والاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية وما يرافق ذلك من توزيع للاراضي على الفلاحين في اصلاح زراعي جذري وتصنيع البلاد وتطوير القوى المنتجة وتثقيف الناس . وليست مسالة اسقاط الراسمالية الوطنية مطروحة على الثورة الا بعد انجاز مهامها الوطنية والديمقراطية اي غداة الانتقال الى الثورة الاشتراكية عن طريق تطوير الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية التي تخلق مستلزمات البناء الاشتراكي ايضا .

لذلك فعبر الديمقراطية الشعبية وحدها يمكن التقدم نحو الاشتراكية ، نحو البناء الفعلي للاشتراكية ولا بديل عن ذلك .

وعدا ما تقدم فان هذه المجموعات «اليسارية» ترتكب اخطاء فظيعة « يسارية المظهر » ولكنها يمينية الجوهر كانكار دور الطبقة العاملة الطليعي في الثورتين الديمقراطية والاشتراكية واناطة هذا الدور بالطلبة او المثقفين الثوريين او بالفلاحين او « بالمجموعة الثورية المسلحة » متناسية لحقيقة ان الطبقة العاملة وحدها تستطيع ان تقود الثورة الوطنية الديمقراطية الى نهايتها المظفرة الى الديمقراطية الشعبية فالاشتراكية ، وان الاشتركية هي نظام الطبقة العاملة التي تبنيها وتقودها ونظامها السياسي هي دكتاتورية البروليتاريا .

كذلك تنكر هذه المجموعة « اليسارية » ضرورة وجود حزب طليعي ثوري مسلح بالنظرية الاشتراكية العلمية (الماركسية اللينينية) ولا تعير مسالة الحزب اهمية كبرى . بينما اثبتت تجارب نضالات الشعوب المناضلة في سبيل التحرر الوطني الناجز ان لا بد من وجود حزب طليعي ثوري من طراز جديد ، حزب يجمع في صفوفه خيرة العناصر العمالية والفلاحية والمثقفة الثورية ويهتدي في نضاله بالنظرية الماركسية اللينينية ويبني تنظيماته على اسس المركزية الديمقراطية والنقد والنقد الذاتي ويمارس اسلوب الكفاح الجماهيري الثوري ، واسلوب استنهاض وتوعية وتنظيم وقيادة الجماهير الشعبية الغفيرة باعتبارها القوة الرئيسية القادرة على انجاز مهمات التحرر الوطني الديمقراطي الناجز ، اسلوب النضال الجماهيري الثوري المسلح عن طريق الحرب الشعبية الثورية التي تبدأ في الريف وتخلق قواعد ثورية ثم تتطور في خضم نضال مسلح طويل الامد لتحاصر المدن من الريف تمهيدا لتحريرها . لذلك فان الافكار الخاطئة حول « البؤرة الثورية » البديلة عن القواعد الثورية التي اثبتت تجارب الصين وفيتنام وكوريا صحتها لا تلحق الا الاضرار بالثورة وبمهمة تحقيق اهداف اصحاب البؤرة الثورية انفسهم .

ان الحزب الطليعي المنبثق من صميم الجماهير الشعبية والمعتمد في نضاله على قوى هذه الجماهير الشعبية وطاقاتها الثورية الهائلة والسائر في نضاله على هدى النظرية الماركسية اللينينية والممارس لاسلوب النضال الثوري ، اسلوب الحرب الشعبية الثورية هو وحده القادر على قيادة نضالات الشعب في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ثم تطوير هذه الثورة الى ثورة اشتراكية . يقول الرفيق ماوتسي تونغ :

« يجب ان يكون هناك حزب ثوري ما دمنا نريد الثورة . وبدون حزب ثوري ، حزب مؤسس وفق النظرية الماركسية اللينينية الثورية وفق الاسلوب الماركسي اللينيني الثوري تستحيل قيادة الطبقة العاملة والجماهير العريضة من الشعب والسير بها الى الانتصار على الامبريالية وعملائها » .

اما الاحزاب الوطنية او التقدمية او القومية البورجوازية فليست قادرة على قيادة الثورة وانجاز مهامها الديمقراطية والوطنية كاملة ، حتى اذا تصدرت النضال الوطني لفترة معينة من الزمن طالت او قصرت . فمثل هذه الاحزاب عاجزة تاريخيا عن الاضطلاع بهذه المهمة التاريخية النبيلة التي اوكل التاريخ الى الاحزاب الطليعية بدور القيادة لانجازها .

ان القاء نظرة على تاريخ الشعوب العربية والكردية والايرانية تثبت لنا حقيقة ان عدم وجود حزب طليعي ثوري قوي قادر على استنهاض وتوعية وتنظيم الجماهير الشعبية وقيادتها هو السبب الرئيسي لاخفاق الثورة الوطنية الديمقراطية لهذه الشعوب في تحقيق اهدافها الوطنية والديمقراطية معا .

اذن فعلى جميع العناصر الواعية والمناضلة من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ان تدرك هذه الحقيقة وتستوعب اهمية وجود الحزب الطليعي الثوري وتناضل من اجل ايجاده وتطويره وتقويته كي يقوم هذا الحزب الطليعي الثوري باستنهاض وتوعية وتنظيم وقيادة الجماهير الشعبية ويؤلف الجبهة الوطنية المتحدة تحت قيادته ويخوض في مقدمة الجماهير النضال الثوري المسلح ، باسلوب الحرب الشعبية الثورية من اجل انجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية واقامة الديمقراطية الشعبية ثم الاشتراكية في البلاد .

يجب أن يبعد الثوريون الحقيقيون عن اذهانهم وتفكيرهم جميع الاوهام والخيالات والامنيات من قدرة الاحزاب القومية البورجوازية ـ الصغيرة ام الكبيرة ـ على قيادة الثورة التحررية القومية وعلى انجاز مهام الثورة القومية والديمقراطية.

والخلاصة فان الاسلحة الرئيسية التي يحرر بها الشعب وتحقق بها اهداف ومهمات الثورة الوطنية الديمقراطية هي ثلاث :

« حزب قوي النظام مسلح بالنظرية الماركسية اللينينية يستخدم اسلوب النقد الذاتي ويرتبط بجماهير الشعب ، وجيش يقوده مثل هذا الحزب ، وجبهة متحدة تضم مختلف الطبقات الثورية والجماعات الثورية ويقودها مثل هذا الحزب ، هذه هي الاسلحة الرئيسية الثلاث التي تنتصر بها على العدو » ـ ماوتسي تونغ.

هذه هي الحقيقة ، هذه هي الطريق الى التحرر والديمقراطية الشعبية والاشتراكية ومن طريق استحصال وايجاد هذه الاسلحة الثلاثة فقط يمكن تحرير الوطن وانجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ومن ثم تحويلها الى اشتراكية . وبدون هذه الاسلحة الثلاث لن يستطيع الشعب تحقيق اهدافه الوطنية والديمقراطية والاشتراكية .

وعلى ضوء هذه الحقائق يمكننا ان نعرف مدى انحراف هذه « المجموعات اليسارية » عن جادة النضال الثوري المفضي الى النصر وكيف انها تحمل (اوهام ثورية) وتسعى الى تحميل المجتمع مهام طوباوية في غير اوانها وترفع شعارات مخالفة للواقع الموضوعي وللظروف المادية اي انها تضع الرغبة والامنية الطيبة في محل القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعي .

واذا كانت الوقائع وتجارب نضالات الشعوب برهن لنا كون الثورة الوطنية الديمقراطية في جوهرها ثورة ديمقراطية شعبية فلا بد من معرفة مواقف الطبقات الاجتماعية منها لادراك وفهم ادوارها فيها ومعرفة الطبقة التي تستطيع ان تمارس دور القيادة والطبقة التي تؤلف القوى الرئيسية والطبقة والفئات الاجتماعية التي تمثل دور الحليف والمساعد في هذه الثورة الوطنية الديمقراطية الجديدة .

مواقف الطبقات الاجتماعية من الثورة الوطنية الديمقراطية

ينقسم المجتمع الذي يواجه الثورة الوطنية الديمقراطية (وهو مجتمع شبه اقطاعي ومستعمر او شبه مستعمر غالبا) الى الطبقات الاجتماعية التالية :

العمال والفلاحون ومراتب كادحة اخرى ، والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية والاقطاعية. هذا فيما عدا بعض المجتمعات البدائية التي ظلت في مرحلة تاريخية متاخرة حيث لا توجد الراسمالية الحديثة مثلا ومع ذلك فهي تتأثر بالثورة العالمي او الحركات الثورية المجاورة تتفاعل مع عوامل ذاتية فيشرع مناضلوها بالكفاح من اجل التحرر من انيار العبودية الاستعمارية ولكن الامثلة نادرة . فالمجتمع المنغولي مثلا لم يعرف الراسمالية الحديثة وبعض المجتمعات الافريقية تتميز باوضاع خاصة . ولكن الغالب الاعم هو وجود هذه الطبقات الخمس بدرجات وكميات ونوعيات متباينة ومختلفة وفي هذه المجتمعات الطبقية تحمل فيها جميع الحركات السياسية والفكرية والاجتماعية راية طبقة معينة حتما ، وتحمل الاحزاب والفئات والاشخاص فيها بدون استثناء طابع طبقة اجتماعية معينة حتى اذا انكروها لفظيا . وتعبر مواقفها واتجاهاتها وسياساتها وتدافع عن مصالح طبقة معينة شاءت التصريح بها ام ابت . ومثلما وجد مع الاقطاعية الفلاحون تخلق الراسمالية الحديثة بجانب الراسماليين البروليتاريا ايضا ، وتظهر في هذه المجتمعات الفئات البورجوازية الصغيرة الحديثة وتنمو الفئات القديمة منها وتكثر بحكم الانتاج الصغير وتتحدد مواقف هذه الطبقات الاجتماعية المختلفة من الثورة الوطنية الديمقراطية على اساس مصالحها الطبقية وارتباطاتها .بوسائل الانتاج والعلاقات الانتاجية وبحكم الضرورات المادية للتطور الاجتماعي وعلى اساس خصائصها الطبقية ومزاياها الاجتماعية وبتاثير التفاعلات الاجتماعية اما الدوافع الانسانية والوطنية كحب الخير وحب الوطن والعطف على الفقراء وكره الظالم فتترك فقط تاثيرات فردية على اناس معينين وافراد محدودين من هذه الطبقات وليست على مجموعها كطبقة لا تحركها الا مصالحها الاقتصادية واوضاعها الطبقية .

أ ـ فالطبقة الاقطاعية ، تتعارض مصالحها مع الثورة الوطنية الديمقراطية التي لا تستهدف التحرر الوطني من ربقة العبودية الاستعمارية فحسب بل وتستهدف اجراء التطور الراسمالي ايضا بما فيه الغاء الاقطاعية وتحرير الفلاحين . اذ كما يقول لينين « ليس من شك في ان كل حركة وطنية لا يمكن أن تكون الا حركة بورجوازية ديمقراطية لان الجمهور الاكبر في البلدان المتاخرة يتألف من الفلاحين الذين يمثلون العلاقات الراسمالية البورجوازية » ص٣٦٠ ، من كتاب « حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية » ـ طبعة موسكو العربية .

اذن فالثورة الوطنية تستهدف تصفية العلاقات الاقطاعية والقضاء على طبقة الاقطاع وتحرير الفلاحين من استغلالها لهم وهذا يعني ان الثورة الوطنية ديمقراطية ايضا من حيث الجوهر . ولكن ديمقراطيتها لا تتكامل الا باقامة حكم وطني ديمقراطي يوفر الحريات والحقوق الديمقراطية للطبقات والفئات الوطنية كلها اذ ان ديمقراطية الثورة الوطنية تعني :

١ ـ تصفية العلاقات الاقطاعية واستئصال شأفتها واجراء اصلاح زراعي جذري .

٢ ـ اسقاط السلطة الممثلة للاقطاع والراسمالية الكومبرادورية والموالية للامبريالية وتشييد سلطة وطنية على انقاضها على ان تمثل هذه السلطة الشعب بجميع طبقاته الوطنية التقدمية ، لا ان تنفرد بالسلطة طبقة اجتماعية واحدة .

٣ ـ اطلاق الحريات الديمقراطية وتامين الحقوق الديمقراطية للشعب . بما فيها المؤسسات التمثيلية المتعددة .

بدون هذه الانجازات معا لا تستطيع الثورة الوطنية ان تكون ثورة وطنية ديمقراطية . لذلك فان الاصلاح الزراعي وبعض الاصلاحات الديمقراطية الاجتماعية الاخرى لا يكفي لاضفاء صفة الديمقراطية الكاملة على هذه الثورات الوطنية . وما لم تصاحبها الحريات الديمقراطية والمركزية الديمقراطية في الحكم وما لم يتم تحطيم جميع القيود الاقطاعية والبيروقراطية التي تعرقل انطلاقة الجماهير الشعبية فسيظل الحكم الوطني المنبثق من الثورة الوطنية حكما وطنيا لا ديمقراطيا حتى اذا كان تقدميا ايضا من حيث اجراؤه لبعض الاصلاحات التقدمية ومعاداته للاستعمار والاقطاع .

ان هذا المضمون للثورة الوطنية يجعل الاقطاعية طبقة معادية كما تعادي الاقطاعية مثل هذه الثورة الوطنية الديمقراطية بحكم مصالحها الطبقية وبحكم طبيعة مثل هذه الثورة . ولا يبدل من هذه الحقيقة شيئا جوهريا اشتراك عناصر اقطاعية معينة لفترة محدودة في النضال الوطني ضد السيطرة الاجنبية والاستعمارية . فاثناء تعرض الوطن الى غزو استعماري او اجنبي « يخطيء اولئك الناس في حزبنا الذين يتمسكون بالنظرة القائلة بان كل معسكر طبقتي ملاك الاراضي والبورجوازيين موحد وثابت . وانه لا يمكن في أي حال من الاحوال ان يطرا عليه اي تبدل . هؤلاء يعجزون عن ادراك خطورة الحالة الراهنة وهم فوق ذلك قد نسوا التاريخ ايضا » ماوتسي تونغ ، المؤلفات المختارة ـ الجزء الاول ـ حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية» ، ص٢٢٨

ولاستثمار امكانية اشتراك عناصر معينة من اللاكين والحزب المدافع عن مصالحهم في الحرب الوطنية المعادية للغزو الاستعماري فقد تمهدت قيادة الحزب الشيوعي الصيني اثناء العدوان الياباني على الصين « بالتوقف عن مصادرة اراضي ملاك الاراضي » وذلك لانه « طالما كان حل مسالة الاراضي للفلاحين مشروطا بالدفاع عن الصين فقد اصبح من الضروري تماما أن نتخلى عن اسلوب مصادرة الاراضي بالقوة ونلجا الى اساليب ملائمة جديدة » ماوتسي تونغ ـ المصدر السابق ـ ص٣٩٧ .

وفي البلدان التي تتعرض للعدوان الامبريالي او للاضطهاد القومي الفظيع تنضم فئة من الاقطاعيين المستنيرين الى الحركة القومية وتساهم بدرجات معينة في النضال القومي التحرري لذلك يجب كسب هذه الفئة لمصلحة الجبهة الوطنية المتحدة . وحين تشترك هذه الفئة في الثورة الوطنية يجب على القوى الثورية الطليعية ان ترحب بها وتستفيد منها لصالح النضال المعادي للامبريالية ولعزل الاعداء من الداخل عزلا تاما بحيث لا يبقى معهم من اهل البلاد الا القلة القليلة وكذلك يجب بذل الجهود معا لاقناعهم بتاييد الاصلاح الزراعي لان تاييدهم يفيد نضالنا ضد الامبريالية والاقطاعية . يقول الرفيق ماوتسي تونغ : « ينبغي لنا ان لا نتخلى عن الاقطاعيين المستنيرين الذين تعاونوا ولا يزالون يتعاونون الان معنا ، الذين يؤيدون نضالنا ضد الولايات المتحدة وشان كاي شيك ويؤيدون كذلك الاصلاح الزراعي » . ويستطرد قائلا : « ان رضى عدد ضئيل من الاقطاعيين المستنيرين خلال فترة الاصلاح الزراعي يفيد هذا الاصلاح في كل البلاد وهو بصورة خاصة يساعدنا في كسب المثقفين (غالبية المثقفين الصينيين منبثقة من عائلات ملاكين عقاريين أو فلاحين اغنياء) ، والبورجوازية الوطنية (ان لمعظم افراد البورجوازية الوطنية ارتباطات بالارض) والاقطاعيين المستنيرين في كل البلاد (الذين يعدون مئات الالاف) وفي عزل عدو الثورة الصينية الرئيسي ، زمرة شان كاي شك الرجعية » ـ مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة ـ المجلد الرابع ـ ص٢٤٤ ـ دار ابن سينا ـ بيروت .

ومع ذلك فستظل الثورة الوطنية الديمقراطية ضد الامبريالية والاقطاعية معا .

٢ ـ البورجوازية الكومبرادورية ، وهي : « بورجوازية تربت في احضان الراسماليين من البلدان الامبريالية وتخدمهم بصورة مباشرة وتربط بين هذه الطبقة والقوى الاقطاعية والمحلية علاقات متشعبة وثيقة » هي ايضا طبقة رجعية معادية للثورة الوطنية الديمقراطية بحكم ارتباطها بالامبريالية ـ عدوة الثورة الاولى ـ وبحكم ترابطها الوثيق مع الطبقة الاقطاعية الرجعية ايضا وبحكم اعتقادها المصيري على الامبريالية هكذا نفهم من الحقائق المتقدمة ان الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية لهما مصالح طبقية معادية للثورة الوطنية الديمقراطية ولهما ارتباطات خيانية مع الامبريالية . وان ازاحتهما عن الطريق هي من مستلزمات التطور الاجتماعي ومع ذلك فان القيادة الثورية الحكيمة تستطيع في ظروف العدوان الامبريالي واشتداد التناقض بين الدول الامبريالية ان تستفيد من كسب العناصر الكومبرادورية التابعة لدول استعمارية تتعارض مصالحها مع الدولة الاستعمارية المعتدية المعينة . فاثناء العدوان الامبريالي الياباني على الصين تعاونت الطليعة الثورية للشعب الصيني مع عناصر معينة من الكومبرادور التابعين للاستعمارين الامريكي والبريطاني حيث كانت مصالح اسيادهم الامبرياليين الامريكان والانكليز تتعارض مع مصالح الامبريالية اليابانية . وفي ظروف البلدان العربية قد يمكن كسب الكومبرادور التابعين للاستعمار الفرنسي الذي تتعارض مصالحه مع الامبريالية الامريكية حينما تكون الامبريالية الامريكية مستمرة في عدوانها والتناقض الفرنسي الامريكي ملتهبة . والخلاصة فان الشعوب الثورية حين تشن اليوم النضال الثوري ضد الامبريالية الامريكية وكلابها السائبة تستطيع ان تستفيد من التناقضات الكامنة والموجودة بين الدول الامبريالية الاخرى والامبريالية الامريكية .

ولكن ماذا عن البورجوازية الوطنية ؟

٣ ـ دور البورجوازية الوطنية في الثورة :

ان مشكلة البورجوازية الوطنية معقدة بسبب تقسيمها الى مراتب كبيرة ومتوسطة ويمينية ويسارية وبسبب تذبذبها الطبقي الحتمي في المواقف وبسبب ضعفها وخصائصها الطبقية الذاتية فالقشرة العليا للبورجوازية الوطنية ذات ارتباطات بالبورجوازية الكومبرادورية وبالاقطاع والبيروقراطية الحاكمة لذلك تطرح من القوى الثورية وتضاف الى القوى الرجعية المعادية البيروقراطية من قائمة القوى الوطنية بحكم تعارض مصالحها الخاصة مع مصالح الشعب العامة ، ومع الثورة الوطنية الديمقراطية المعادية للاحتكار والبيروقراطية . وفي العراق وبعض البلدان العربية التي شهدت التاميمات وقيام المؤسسات الحكومية بالسيطرة على التجارة الخارجية تبقى المراتب المتوسطة والتقدمية من البورجوازية فقط ضمن الصف الوطني التقدمي .

ولفهم الموضوع جيدا يجدر بنا دراسة موقف البورجوازية الوطنية تاريخيا .

فقد نمت البورجوازية اصلا من رحم المجتمع الاقطاعي كطبقة جديدة تقدمية ، وثورية . وقادت الثورات الديمقراطية البورجوازية في فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا وبعض البلدان الاوروبية الغربية . واسست الانظمة الديمقراطية البورجوازية البرلمانية التي سرعان ما تحولت الى دكتاتورية طبقية عنيفة في خدمة البورجوازية رغم تغليفها ببراقع حريرية ناعمة من البرلمانية والانتخابات والحريات .

« في الثورات البورجوازية مثلا في الغرب كانت البورجوازية تحتفظ بدور القيادة والبروليتاريا تلعب شاءت ام ابت دور المساعد اما جماهير الفلاحين فتؤلف قوة احتياطية للبورجوازية . وكان الماركسيون يعتبرون هذا التركيب شيئا محتوما لا مناص منه وكانوا لا يبدون فيه سوى تحفظ واحد هو ان على البروليتاريا ان تدافع قدر الامكان عن مطاليبها الطبقية المباشرة وان يكون لديها حزبها السياسي الخاص بها » ـ من كراس « الثورة الديمقراطية الاولى في روسيا » ـ ص٢١ ـ مكتب المطبوعات الشعبية ، بيروت ـ دمشق ١٩٤٧ .

ولكن نجم البورجوازية كطبقة قائدة حتى في الثورة البورجوازية الديمقراطية قد بدأ بالافول منذ بداية القرن العشرين بعد تحول الراسمالية الاحتكارية الى امبريالية وبعد نمو البروليتاريا وظهور حركتها الثورية المنظمة واحزابها الطليعية الثورية ومع بزوغ فجر عهد الثورة الاشتراكية البروليتارية مرورا بالثورة الديمقراطية .

« اما الان في الوضع التاريخي الجديد فتتمثل الدور حسب مفهوم لينين بشكل تصبح معه البروليتاريا هي القوة القائدة للثورة البورجوازية اما البورجوازية فتبعد عن قيادة الثورة بينما تتحول جماهير الفلاحين الى قوة احتياطية للبروليتاريا » ـ نفس المصدر السابق ـ ص٢١ و ص٢٢ .

وكانت روسيا البلد الذي نفى فيه الماركسيون الثوريون بقيادة لينين قدرة البورجوازية على قيادة الثورة الديمقراطية فقد توصل لينين بثاقب نظر وبعد دراسة عميقة لاوضاع روسيا وظروف عهد الاستعمار ـ اعلى مراحل الراسمالية ـ الى الاستنتاج بان الثورة الديمقراطية الروسية يجب ان تقودها البروليتاريا لا البورجوازية وان تكون السلطة المنبثقة عنها « الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين » لا الدكتاتورية البورجوازية المغلفة بالبرلمانية الدستورية . اذ بالرغم من أن « الثورة الجارية هي ذات طابع